نـافـذة

صفوان بهلوان وسيمفونيته أوغاريت

بين طرطوس وجزيرة أرواد، يتنقّل الموسيقار الكبير صفوان بهلوان، بحثاً عن نفحة جديدة يضيفها لتفاصيل الصوت وتحولاته الكيميائية، قبل أن تستقر في الأذن، وتتذوق ذاك المزيج الرائع بين نغمات عوده الساحرة، وصوته العذب القوي النادر الوجود على امتداد الساحة الغنائية العربية.
بين حنين كئيب حزين، وتجديد شرقي يحمل في عوده وصوته أفراح شعب ومآسيه يطل علينا جديده «الشعب السوري واحد».. الموسيقا عند صفوان منذ بداياته الأولى قبل أربعة عقود من الزمن، كانت وما زالت عنوان المحبة والفرح، والمجد والأرض والبحر والحوار بين البشر، والدين الأقرب إلى الله تعالى... من صوته الذي يمتلك مقومات وعرباً لا حدود لجمالهما وروعتهما تبدأ رحلة البحث عن مقومات «الجمال الموسيقي» وجذور الأصالة في «الربان والعاصفة» و«شممت تربك» و«يا شام» و«لنا الأرض» و«سيمفونية أوغاريت»... لقد حمل سوريته في قلبه وعقله إلى شتى أرجاء العالم، يجول بين ماض مجيد وحاضر يحلم به في غد مشرق جميل.. كان دائم البحث عن صيغة لحنية «بهلوانية» أصيلة، فيها الشعور المستمر بالحنين، والتجديد الذي لا قرار له.. موسيقاه وألحانه جوالة، نلاحق أخبارها في المؤتمرات والمهرجانات ودار الأوبرا المصرية، ولكنها- بكل أسف- نادرة الحضور على الساحة السورية والسبب يعود لعدم وجود صيغة ترويجية لأعمال مبدعينا، ولأننا في تربيتنا مازلنا نجد في الموسيقا مضيعة للوقت واستهجاناً، وأن الموسيقا لا تطعم خبزاً ولا توفر لصاحبها عيش الرخاء..
وصفوان بهلوان تجاوز هذه المرحلة منذ سنوات طويلة، وحقق شهرة عربية وعالمية كبيرة، أكسبته المجد ومحبة الناس واحترام نقاد الفن الموسيقي.
صفوان بهلوان اعتمد في أعماله وموسيقاه، التوازن، والأصالة والتجديد والجمال المبني على المقدرة والتمكن من منح المستمع الشعور بقيمتها وتصور مضامينها وجذورها الشرقية الداعية إلى التأمل والسكون... عود صفوان كان وما زال دائماً نجماً بارزاً في جميع أعماله في حفلاته... دائماً يمنحه الأولوية، حتى في أعماله الأوركسترالية الضخمة التي أنجزها خارج سورية، وهذا ما أعطاها نكهة خاصة، برزت فيها قدرته الفائقة في ترويج هذه الآلة الشرقية الساحرة، التي كان هناك مَنْ ينادي من دعاة الفن والتجديد إلى إيداعها في المتاحف، ولكن صفوان أعاد لهذه الآلة مجدها الذي كان أيام فريد الأطرش والسنباطي والقصبجي ومحمد عبد الوهاب... لقد بحث عن نقاط القوة الكامنة في آلة العود، وما أكثرها، وقام بتوظيفها في الأماكن التي تبرز مؤهلاته الفنية، وكان في موسيقاه وأمسياته الحاضر دائماً، والعازفون المرافقون بشفافية أدائهم يرتبطون بآلة صفوان المفضلة، ولا يغفلون أوتارها لحظة.
أعمال صفوان الأوركسترالية، التي أكثرها لم ير النور- حتى الآن- أعرفها جيداً، وتابعت مسيرة إنجازها، مرحلة... مرحلة، تقوم على وعي وإدراك صادق بأهميتها وتأثيرها في الناس، موسيقا قائمة على فعل هندسي جد دقيق، فالتوزيع الذي يكتبه بنفسه، بين آلة موسيقية وأخرى، كلوحة فسيفسائية، لا يكتمل معناه إلا باستواء كل حجر في مكانه الأصيل، وعندما يلحن لا يفكر في شرقي وغربي، بل في النغمة المناسبة لموضوع العمل الذي يقوم بإنجازه ويرى في التراث الموسيقي فيما نصنعه اليوم للغد.
محمد عبد الوهاب ورياض السنباطي وسيد درويش ومحمد القصبجي بالنسبة إلى حاضرنا تراث، هؤلاء جددوا موسيقانا العربية، قد آن الآوان لكي نجدد بدورنا، ولكن التجديد لا يكون أصيلاً إلا إذا أدركنا جذوره، فبقدرما تغمر التربة جذور الشجرة في عمق الأرض، تعلو ورافة ومتشعبة...
إنها الموسيقا التي انطلق منها صفوان بهلوان في كثير من أعماله التي رسخت بمشروعه الموسيقي الكبير، والتي يمكن أن تكون في قمتها «سيمفونية أوغاريت» التي انتهى من وضع اللمسات الأخيرة عليها منذ أكثر من ربع قرن عن بناء درامي كتبته له، مستمداً عناصره الأولى من النصوص الأدبية والميثولوجية التي اكتشفت في مدينة أوغاريت على الساحل السوري، وتعتمد في بنائها الدرامي على الإيقاع الأساسي لأنشودة العبادة الأوغاريتية، التي كانت سائدة في الألف الثاني قبل الميلاد، وتعد من أقدم المدونات الموسيقية التي اكتشفت في العالم، وفي هذا العمل الفريد من نوعه يقوم صفوان بهلوان بالمزج بين أساطيرنا وبين موروثاتنا الثقافية والفلكلورية الموجودة في ساحلنا السوري الجميل، وتتألف سيمفونية أوغاريت من ثلاث حركات، تختتم بنشيد كورالي ضخم يؤديه أكثر من خمسين منشداً ومنشدة، بأصوات متباينة وباللغة الأوغاريتية، بطريقة ساحرة وجذابة، قمت بصياغتها من وحي لهجة أوغاريت التي ما زال لها جذورها في لهجة سكان اللاذقية، وفق رؤية شمولية تشبه «نشيد الفرح» للألماني «شيلر» الذي ختم به «بيتهوفن» سيمفونيته التاسعة.

د. علي القيّم

شرّح التشدد والتطرف من الخلية الأولى دون شعارات

«أحمد وكريستينا» عمل حاف إبهارياً.. عميق في طروحاته

نجح وعالج المشكلات ببساطة تقارب الواقع

إسماعيل مروة

في غمرة إنتاج الأعمال الدرامية العربية تسابق المنتجون والمؤلفون والنجوم والمخرجون والقنوات العارضة على إنجاز أعمال مكلفة، تعتمد الإبهار والأزياء المبالغ بها، والصورة السينمائية، والإخراج العالي، والمواقع المبهرة ثراء فاحشاً، أو قاعاً مؤلماً..
وقد لفت انتباهي ريبورتاج عن مسلسل يعد باسم (أحمد وكريستينا) واستفزني المخرج سمير حبشي الذي رأيت له أعمالاً جيدة بقوله: هذا عمل لبناني بحت، ليس فيه أحد أمه سورية أو من سورية، وربما كان يقول ذلك ردة فعل تجاه ما يراه اللبناني اجتياحاً للدراما السورية في لبنان، وما يراه السوريون اقتناص النجاح الكبير للدراما السورية لركوب الموجة والنهوض! وكلا الرأيين صحيح وسليم ولا غبار عليه من وجهة نظر أصحابه..

فضول المتابعة

المهم أن هذا التصريح المستفز جعلني أتابع هذا العمل بحلقاته ٣٤ حلقة، والذي عرض على قناة واحدة من تأليف كلوديا مرشليان وتمثيل سابين ووسام صليبا، ومجموعة من الفنانين زينهم القديرة إلسي فرنيني والقدير جورج شلهوب اللذان أعاداني ثلاثة عقود في رومانسية الدراما اللبنانية أيام هند أبي اللمع وعبد المجيد المجذوب وإلسي فرنيني الثلاثي الأشهر في الدراما اللبنانية.
وأنا أشكر فضول المتابعة، فالحقيقة أن هذا العمل على بساطته وإيقاعه البطيء استطاع أن يأخذني بعيداً، وحبذا لو وقف عنده دراميو سورية الكبار، فالعمل يكتظ بالبساطة التي تصل إلى حد السذاجة، ولكننا في الوقت نفسه نقف أمام إنجاز عمل بتكاليف بسيطة نوعاً ما، وبقدر محدود من النجوم، وبرسالة مهمة وفقت الكاتبة في صنعها، وأجاد المخرج في إيصالها، وإن كان قد مطّ الحكاية التي لا تحتمل بشكل كبير..

البيئة والحفاظ عليها

قدم المخرج أعمالاً من قبل، وكانت مبهرة وفيها تكاليف إنتاجية عالية، وشارك فيها نجوم كبار، فالرجل مقتدر على تقديم الأعمال الكبيرة، لكنه وبحنكة الخبير تعامل مع النص كما يجب، فالنص يقدم بيئات طازجة، ولم يعمد المخرج إلى إظهارها إلا كما هي في بساطة الكنيسة والضيعة والأشخاص واللباس، وكان بإمكانه أن يختار أفخم الكنائس، والبيوت الفخمة في القرى، لكنه لم يفعل، وقدّم ما يتماشى مع النص وشخصياته وحكاياته، ولو جعل البيئة غير ذلك ما نجح، وأشيد بأنه نجح أيما نجاح في تقديم لوحة آسرة للطبيعة اللبنانية البكر التي لم تلوث، وهذا يذكرنا بالأعمال الأولى لنجدة أنزور التي قدمت الصورة المدهشة بلا بهرجة، وكل الأعمال السورية في فورة الدراما الأولى مثل «هجرة القلوب إلى القلوب» وغيره، وهنا تنبه حبشي إلى أن البساطة إبهار أيضاً.

نجوم في الأداء لا غير

على غير ما يريد العارضون، وبمخالفة لمبدعي الدراما السورية والعربية المشتركة سار حبشي، فقدم لنا (سابين) كريستينا ببساطة الفتاة وعصاميتها وقوتها، وبثوبها الفضفاض، لم يظهر جسدها ولم يتعرّ، ولم تظهر تنانيرها القصيرة، بل قدمت العمل بلا مكياج يذكر من أوله إلى آخره، وبأثواب محدودة وبسيطة وأنيقة، وأظن أن سابين لن تمانع لو أراد المخرج غير ذلك، وبطله أحمد لم يغير الجينز والقميص والجاكيت، بل التسريحة البسيطة في كل العمل، وجميع شخصيات العمل كانت بلا رتوش، وحدها الغجرية كانت متزينة بما يناسب دورها وببساطة متناهية، وبقيت إلسي فرنيني الليدي المحترمة كما لو أنها في بيتها، كل هذا والنص في العمق من الحوار الذي يسترعي الانتباه ولا يخدش الحياء، عندما يرتبط أحمد بابنة عمه سوسن تسأله كريستينا: (نمت معها، ارتحت، رح تقولي متل العادة متل ما بيقولوا نمت غصب عني وكنت بتخيلك) لكن هذا الحوار مثله لم يحتج من حبشي إلى إغراء وسرير وتوابعهما، ووضع المشاهد أمام المعضلة الأهم فكرياً.. أي لم يهمش الفكرة لمصلحة الإبهار والأزياء وجمال سابين الحقيقي، والذي كان طاغياً على جمال الأخريات ببساطته.
لم يعتمد الجميع تأليفاً وتمثيلاً وإخراجاً وإنتاجاً إلا على الفكرة والبساطة ففي العمل رسالة قدمها من قبل حبشي، لكنها لم تصل بسبب اعتماد الإبهار.

التشريح للعنف من الجذور

لم يخل عمل عربي من الحديث عن التطرف، من عادل إمام وإلى عناية مشددة، ولكنني أزعم أن كل ما قدمته الدراما العربية عن التطرف لا قيمة له، فما قيمة أن تأتي برجل ملتح لتراقب أفعاله وتكتبها وتتابعها؟ ما أهمية أن يظهر رجل التطرف كما لو أنه نبت شيطاني، نكتفي بصب اللعنات عليه لتصرفاته، ولا يدرك أحدنا أن فيه ألف متطرف وهو لا يدري، في عمل (أحمد وكريستينا) قرأت ما يجب أن يكتب، قد لا تكون الكاتبة والمخرج معها ما قرأته، لكنني وجدت أن هذا العمل هو أنجح الأعمال العربية في تشريح التطرف والاعتدال، ومن دون لافتات، ولا حديث عن المؤاخاة، ومن دون حديث عن الوحدة الوطنية، فقد تناول مفهوم الحرية في الاختيار في حضن البيئة، ولننظر إلى الحوارات التي لم تعتمد التجميل في البيئة المسيحية عن الإسلام والمسلمين، وهذه الحوارات كانت بسبب وجود شخصية أحمد، ودخولها في حياة كريستينا والضيعة والأسرة المسيحية، دخل الحوار في مناطق محظورة ونجح، وأظهر الرفض ليس لأحمد وإنما للإسلام والمسلمين، وفي ضيعة أحمد كذلك كان الرفض للمسيحيين لكريستينا ومجتمعها، وبقي النفور حتى النهاية، حتى في تقسيم القرى والضياع أظهر وجود قرى مسيحية وأخرى مسلمة، ومن يشاهد ويعِ هذه الحوارات يدرك ذكاء النص والإخراج في إبرازها، فهو يدلنا على جذر التطرف والإرهاب، الجذر في البيئة، الجذر في العقول التي نحكم عليها بالبساطة، ولم يجنح النص إلى تجميل بيئة على حساب أخرى، بل أظهرهما على أنهما بيئتان متحجرتان متطرفتان، تقبل إحداهما الغلط إن كان منها، وترفض الصحيح من سواها، ألم يتفق الجميع على إلباس تهمة قتل (الأبونا) لأحمد لأنه مسلم؟ ولكن الحب وحده أنقذه حتى تم التوصل إلى الحقيقة ألم يرفض أهل أحمد كريستينا لأنها مسيحية وقام والده بزيارة أهلها وتوبيخهم؟ حتى هزمه الحب الحقيقي؟

من التطرف إلى العنف والإرهاب

أخذ كثيرون على العمل قتل الأبونا، ولكن العمل نصاً وإخراجاً نجح في محوريات العنف، فالرجل المتسامح القابل للاعتذار يقتل، ويقتله التطرف الذي تحول إلى إرهاب عندما أدرك أن الأبونا لن يخرج عن حدود ما أمره الكتاب المقدس، ونجح في مقتل زوج عائدة المسيحي الذي تزوجها وهي المسلمة، فقتل ولا تدري من قتله أهم أهلها أم أهله؟ لكنهم لم يقتلوا بذرة الحب، فأحبت ومرة أخرى كانت مع مسيحي لتعيش سعادة ذاتها، ومقتل أبو جريس كان مهماً لأنه انتهاء لحاضنة عنف، فبقيت شجرته بعده عارية ولم تقو على مقاومة الحب، وفي التداعيات والذكريات نعرف أن أبا جريس كان محتقراً للآخرين، وكان متطرفاً تجاه إخوته وأولادهم وبناتهم، وأخته تحديداً، فكان متسلطاً يرهب الآخرين ليخرج منه جريس ومتى اللذان يريدان الاستمرار إلى أن يهزمهما الحب.
القتل جريمة وإرهاب، وكان نتيجة طبيعية في العمل لتطرف الأفكار الدينية البيئية، ولم يغير مع نهاية العمل أبو كريستينا موقفه، وفي ذلك دلالة واضحة على استمرار التطرف، وحدها الغجرية كانت الصائبة التي لم تغير رأيها في مفهوم العقيدة والشرائع والمذاهب، وتقول للآخر اقبلني كما أنا، وعند وفاة أبيها انتحبت ابنة، لكنها لم تهرع للتوبة كما اعتدنا تكفيراً عن خطئها، ولم تلحق بأمها وأختها إلى أستراليا.

الإقناع والضرورة

عندما ارتبط أحمد بابنة عمه امتلأت صفحات الفيس بوك بالتعليقات والشتائم، وبالانتظار نحصل على الإقناع، ففي مثل هذه البيئات المتشددة حد التطرف لن يتم الارتباط ببساطة، ولو تم فحكمه حكم عائدة وزوجها، ولكن حين تم الارتباط كيف يكون الحلّ! الحل كان مقنعاً وموفقاً، فالمرأة نفسها سوسن التي تتعلق بأحمد انتصرت لكرامتها، طلبت الطلاق، ولكن متى؟
عندما تعلمت، وبدأت طريقها في بيروت لتكتشف في لباسها وحديثها أنها امرأة تحب وتبحث عمن يحبها، وأنها لا تحب أحمد، وهي التي تقنع أهلها بطلبها، لينتصر الحب بصورة منطقية، وتتحرر المرأة من العادات والتقاليد وفي الحياة المدينية تختلف الأشياء.
تناقشت مع عديدين حول العمل، وهو متابع، أغلب المناقشين كانوا منساقين وراء حكاية الزواج المختلط، ومبهورين بالأعمال الأخرى التي امتلأت بالفخامة والأزياء والجميلات.
لا شك في أن ما قدمه صناع (أحمد وكريستينا) من خدمة للمجتمع وقضاياه، ومن طرائق لفهم التطرف وجذوره لم يستطع أن يقدمها عمل آخر كلف مئات الملايين! من أنفسنا وتشريحها وأمراضنا تبدأ رحلة العلاج، من قرانا ورجال الدين، من أبنائنا وآبائنا، من أمهاتنا وبناتنا، من قراءتنا لما نحن فيه، وليس من التنظير وتصوير النبت الذي اكتمل تطرفه وعنفه..
شكراً لصناع هذا العمل، إن قصدوا، وإن لم يقصدوا ما قرأته، وكم هو جميل أن يعاد عرضه على قنوات عديدة فما فيه يستحق أن يقرأ ويشاهد ويكون مثالاً..
ومن حق مخرجه أن يفاخر بصنعته المحلية الطازجة والصادقة.

مع أثينا المسرح.... من تراجيديا الإبداع إلى ألم التقشف

مها محفوض محمد

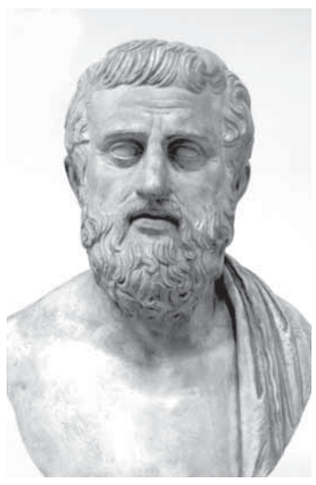

سوفوكليس

مسرح يوناني

في حركة تضامنية مع أثينا الحاضرة التي أسست المسرح توجهت مجموعة من المثقفين الفرنسيين والفنانين المسرحيين إلى شعب اليونان ببيان جاء فيه: إلى الشعب الذي ينحدر من أعرق حضارة إن كان من أرسطو واسخيلوس وسوفوكليس ويوربيدس يقترحون علينا أن نفي ديوننا إليكم، أرسطو الذي قدم للبشرية علوم الفلسفة والسياسة والميتافيزيقيا والمسرح والموسيقا والشعر.
اليونان هي التي خلقت المسرح منذ خمسة قرون قبل الميلاد وأثينا هي المدينة التي قدمت للعالم أعظم كتاب المسرح بل هم آباء المسرح سوفوكليس واسخيلوس ابتكرا التراجيديا مع يوربيدس حيث قدموا في ذلك الزمان أكثر من ألف نص تراجيدي لم يبق منها إلا القليل في عصرنا استوحى منها الشعراء والكتاب كثيراً لأعمالهم.
مسرحية «أنتيغون» التي قدم فيها سوفوكليس أعظم صورة عن شجاعة الإنسان وتمرده في وجه القوى المستبدة لا تزال خالدة أثارت انتباه الأدباء والمفكرين قال عنها هيغل: إنها من أعظم الأعمال المسرحية التي عرفها العالم.
نقول إن نهضتنا في أوروبا لم تقم لولا حضارتكم اليونانية، نحن رجالاً ونساء من الذين يشكل المسرح جزءاً من حياتنا نجد أنفسنا اليوم مدينين لليونان والديون كبيرة جداً فالمسرح والديمقراطية ولدا معاً وفي المكان ذاته في ساحات آغورا اليونانية «هي ساحة عامة كانت تعقد فيها المجالس السياسية للمدن الإغريقية حيث يستطيع المواطنون والفنانون قول ما يريدون وعلى طريقتهم» ومن ثم تعاظما في قلب قارتنا وفي أنحاء العالم، نحن لم نفقد الذاكرة ونؤمن بذلك وأن أوروبا التي استمدت ديمقراطيتها من اليونان عليها أن تساعدها اليوم لا أن تدفع بالاقتصاد اليوناني إلى الانهيار وإلى زوال العقد الاجتماعي فيها وما فرضته المفوضية الأوروبية على اليونان هو تراجيديا حقيقية على هذا البلد كما أن الاتفاق الذي أبرموه لن يجدي نفعاً إنما سيفاقم الأزمة التي تعيشها اليونان حالياً ونتوقع أن هذه الأزمة ستكون غداً رافعة لبناء أوروبا تلك وستكون أيضاً في خدمة تبادل عالمي وشراكة في التطور، نحن نتضامن اليوم مع شعب اليونان ونقف إلى جانبه لأنه سيكون أفضل داعم لنا في طرد التقشف من قارتنا وإعادة الناس إلى ما كانوا عليه، التضامن مع هذا الشعب هو جلّ هدفنا لأن ما فعلته حكوماتنا الأوروبية سيؤدي إلى مزيد من الحقد والآلام وهذا سيساهم في عودة الفاشية التي لن تعلن عن اسمها صراحة والشعب اليوناني يدعونا كي لا نخطئ عدونا.
نحن نقترح دفع ديوننا إلى اليونان عبر آغورا الكلمات والأفكار حيث يستطيع الناس الحديث بعيداً عن بروكسل وباريس، كم نحن مذهولون لرؤية أثينا التي أسست المسرح وهي تمر بإحدى أكبر تراجيديات تاريخها فالسيناريو المفروض من التروكيا الأوروبية التي أملت قانونها على الشعب اليوناني سيئ جداً إنه إغتيال فعلي تم تدبيره طبقاً للأصول وعلى خشبة المسرح بعد أن تموت الشخصية تعاود النهوض لكنهم هنا جعلوا الشعب اليوناني يركع ليطلقوا الرصاص على رأسه من الخلف.
إن هؤلاء الدائنين المشبوهين غير الشرفاء لا يمكن لهم أن ينتزعوا من اليونانيين فطرتهم في التراجيديا وروحهم الديمقراطية.
وفي مهرجان آفينيون الثقافي الذي عقد في باريس منذ أيام تم تقديم عروض مسرحية تحية لليونان منها عروض فرنسية وأخرى يونانية تحدث عنها مدير المهرجان قائلاً: «العجيب أنه رغم مأساة هذا البلد ما زلنا نجد لديه القدرة على صنع المسرح» وكانت قد جاءت إلى المهرجان ثلاثة أجيال من كتاب المسرح اليوناني وقدموا أعمالاً تؤكد حيوية هذا المسرح رغم الصعوبات التي تواجهها بلد تخنقه الأزمة الاقتصادية.
من العروض التي قدمت مسرحية ترسم صورة تراجيدية لعائلة في عالم يتهاوى وتعاين حالة جيل يضحى به، كما قدم الكاتب المسرحي مانوليس تسيبوس وهو أحد وجوه المسرح التجريبي اليوناني مسرحيته «طبيعة ميتة» التي تدور أحداثها في محيط مدينة أثينا وحيث أحدثت المسرحية صدىً كبيراً في المهرجان يقول عنها تسيبوس: لقد كان هناك انسجام بين المسرحية والجو الخاص الذي يمر به المهرجان فنحن في لحظة تاريخية والنص يتحدث عن تحول المدينة في ولادة عقد اجتماعي جديد لكنني أرى أن أوروبا كلها بحاجة إلى عقد اجتماعي جديد ومسرحيات مانوليس تسيبوس وغيره من الكتاب التي كانت تعرض بشكل دائم على مسارح أثينا توقفت كلها بعد أن انهار كل شيء حتى وزارة الثقافة اليونانية توقفت عن العمل والدولة انسحبت تماماً من تمويل الثقافة التي أصبحت تمولها اليوم مؤسسات خاصة كبرى مثل مركز أوناسيس ومؤسسة نيارشو أما المسرح الخلاق فلم يعد يحصل على شيء لأن هذه المؤسسات تريد صنع سياسة ثقافية مادامت الدولة غير موجودة وهذا يجازف بخلق حالة احتكار للثقافة في وقت يراد فيه للفن أن يبقى فعالاً وأن يرفد الإبداع التجريبي للثقافة بالمعنى الواسع.
ومن نشاطات مهرجان آفينيون أيضاً أنه احتفى بشعراء من اليونان منهم الشاعر الكبير تيتوس باتريكيوس الذي قدم قصيدة كانت عبارة عن لوحة رائعة ما بين الشكوى والتقريظ ليونان وحيدة، يونان منسية.